بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

شوقى ألمعُ شاعر فى تاريخ أدبنا العربى الحديث لتعدد نواحيه الفنية ، وتشعب آثاره الأدبية ، فقد ملأ عصره بقصائده الغنائية ، ووَصلها بمسرحياته التمثيلية . وكان حين ينشر قصيدة تصبح حديثَ الصحف والندوات الأدبية ، وكذلك كان حين ينشئ مسرحية أو تمثيلية .

وقلما ظهر كاتب أو ناقد فى عصره إلا حاول أن يطير إلى الشهرة بتعرضه لأعماله ، فتارة يصطدم به وبآثاره ، وتارة يثنى عليه ويغلو فى ثنائه . فنقاده كانوا فى حياته بين اثنين : متحزبٍ له أو متعصبٍ عليه ، وما يزال هذا شأنهم حتى اليوم ؛ كأنهم يقودون معركة .

وعلى نحو ما نعرف فى المعارك من كثرة الأسلحة التى تُستَخْدَمُ كانت المعركة حول شوقى وشعره مغنياً وممثلا ، فلا توسط ولا اعتدال فيما نقرأ عنه ، بل غبار كثيف تضيع فى ثناياه الحقائق الأدبية ، ويضيع التثبت والتوقف والنظرُ التام النافذ

وطبيعى أن لا يظهر فى أثناء ذلك بحث منظم عن شوقى ، فقد اكفهرَّت الأجواء الأدبية إزاءه بالثناء المسرف والطعن المجحف ، وأصبحنا لا نعرف أين الوجه الصحيح ، ولا أين المقدمات السليمة ، ولم نعد ندرى أى الأحكام فيه صادقٌ وأيها كاذب ، وأيها مصيب وأيها مخطئ

وبذلك عُمِّيَتْ علينا حقيقة شوقى ، بل حقائقه الفنية جميعاً ، وكان هذا أكبر باعث لى على النهوض بهذه الدراسة التى لم أقصد بها إلى تهجينه ولا إلى تحسينه ، وإنما قصدت إلى بحثه ووزنه بمعايير سهلة هى معايير النقد المنصف

الذى لا يميل مع الهوى . وإنما يسجل الظواهر الأدبية متتبعاً مستقصياً ، فليس همه أن يُزْرى ويتنقَّص . ولا أن يزخرف ويزيِّن ،وإنما همه أن يصور الحق ويكشف الصواب

وبدأتُ بحياته . أتخذ منها مصابيح ، تهدينى الدروب والمسالك التى كوَّنت شاعريته . وبحثت فى صناعته ، وأطلعنى ابنه «حسين»مشكوراً على ثلاث مسودات أولاها لقصيدته « الله أكبركم فى الفتح من عجب » والثانية والثالثة لفصل من « مجنون ليلى » فاستبان لى الطريق ، وعرفت كيف كان يؤلف قصيدته ، وكيف كان يؤلف مسرحيته . وحاولت جهدى أن أستنبط مدى بديهته وقوى فطرته ، وإلى أى حد كان يحبِّر فى أساليبه ويتأنق فى تصاويره ، مستخرجاً من قيثارة الشعر العربى أحلى أنغامها وأروع ألحانها . ورأيتُ — رأى العين — فى هذه الصناعة البديعة تيارين يتقابلان : تياراً شرقيًّا عربيا ، وتياراً أوربيا غربيًّا .

ووقفت بعد ذلك عند المؤثرات المختلفة التى أثرتْ فى صناعته ، وتأملت فى معاول النقد القديم المحافظ والحديث المجدد التى ضربتْ بها أيدى نقادنا فى شعره . وناقشت مناقشة هادئة كثيراً من المبادئ الهادمة لشوقى وفنه ، مستبصراً فى ذلك متأنياً ما وسعنى الاستبصار والتأنى .

ونظرت فى مؤثر مهم أثَّر فى شعر شوقى وفى صناعته ، إذ أخذ يخاطب الجماهير عن طريق الصحف اليومية والأسبوعية ، فاتسع النداء عنده ، حتى فى قصيدة المديح التى وُجِّهت لصاحب مصر أو للخليفة التركى، فقد وضع نصب عينيه إرضاء الجماهير بمدائحه، وتسبَّب إلى ذلك باستشعار عواطف وطنية أو إسلامية أو عربية . ومن هنا زعمت أن شعره التقليدى فى المديح وما يتصل به يختلف فى جوهره عن الشعر القديم ، حتى إذا رجع إلى وطنه من منفاه وسقطت الخلافة التركية أصبح خالصاً لشعبه المصرى والشعوب العربية ، فتغنى مشاعرهم وأحاسيسهم فى قصائد تحملها صدورهم ، وكأنها تعاويذ سحرية .

وكان ينظم فى المناسبات المختلفة ، فى الرثاء ، وفى المخترعات ، وفى أعمال البر ، وفى المنشآت القومية . وكل ذلك من أثر الجماهير والاتصال بها عن طريق الصحف ومخاطبتها . وارتفع بشعر المناسبات إلى القمة التى كانت تنتظره ، وكأنه يختم دورته فى شعرنا الحديث ، فقد حقق له كل غاياته وأهدافه ، ولم يعد لأصحابه من بعده إلا أن يقعوا على السَّفْح من دونه ، ويرتطموا بصخوره .

والغناء آخر المؤثرات التى وقفت عندها فى صناعة شوقى ، إذ حوَّل جوانب من شعره إلى أغان وأزجال ، فيها وهم خياله ، وبِدْعُ تصويره ، وفيها رنين أنغامه ، وحلاوة نبراته ، وفيها دقة شعوره ، ورقة حِسِّه . وبذلك كانت فتنةً من فتن عصره .

وخرجتُ من ذلك إلى مسرحياته ، فتحدثت عن مقوماتها العامة التى تشخصها ، وتجمع طوابعها وخصائصها ، ووزعت مآسيه فى اتجاهين : اتجاه مصرى استجاب فيه للعواطف الوطنية ، واتجاه عربى استجاب فيه للعواطف العربية والإسلامية . وتفضل «حسين شوقى» فأعارنى ملهاة « الست هدى » التى لم تطبع بعد ، فحللتها ووصفتها فى موضعها من هذه الدراسة ، وهى تحفة فريدة نسجها شوقى من حياتنا الاجتماعية الواقعية فى أواخر القرن الماضى .

وبهذا كله تمَّ تأليف هذا الكتاب الذى لم أؤلفه دفاعاً عن شوقى ، وإنما ألفته بحثاً منظماً فى شعره الغنائى والتمثيلى . ولم أدخر وسعاً فى أن أحِقَّ الحق حين يجب إحقاقه وإذاعته فى غير محاباة لشوقى ولا تجنٍّ على غيره . فنحن لم نضع هذا البحث تشيعاً لأنصاره وكذلك لم نضعه تعصبا لخصومه ، وإنما وضعناه ابتغاء تقويم شعره من جميع أطرافه تقويماً صحيحاً دقيقاً . والله ولىّ الهدى والتوفيق .

القاهرة فى أول يونيه سنة ١٩٥٣ م .

شوقى ضيف